مجلة الدراسات اللغوية والأدبية
SUST Journal of Linguistic and Literay Studies
Available at:
http://scientific-journal.sustech.edu/

ابن الحاجب وجهوده اللغوية

حافظ الزين أحمد إبراهيم [1] – مبارك حسين نجم الدين [2]

المستلخص:

جاءت الدراسة بعنوان: ابن الحاجب وجهوده اللغوية، وهدفت إلى إبراز الإسهامات العلمية عند ابن الحاجب للقائمين على أمر العربية، كذلك رفد المكتبة العربية بتجارب السابقين لأجل توارث الأجيال في أمر العربية.

أهمية الدراسة تنضوي في أن الكافية مصدر مهم في مجال الدراسة العربية، واتبعت المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب بغرض التعرف على أهم ما يميز هذا العالم في مجال العربية، ولاستجلاء معلومات وآراء المفكرين والعلماء الذين لهم صلة بموضوع الدراسة جاء البحث وفق المحاور التالية: ترجمة لابن الحاجب، جهوده النحوية، الخصائص العامة لمنهج ابن الحاجب، وأهم ما يميز هذا العالم.

توصلت الدراسة: إلى أن ابن الحاجب يخالف النحويين في مسائل عديدة، ويعترض بعضهم ويرد عليهم كما ينفرد بآراء خاصة به، ويعتمد في أغلب آرائه على المعنى النحوي، أظهرت الدراسة ميل ابن الحاجب إلى البصريين، وانتهت الدراسة بتوصية مهمة وهي ضرورة إجراء مزيد من الدراسات حول مؤلفات ابن الحاجب وقدامى العلماء، ودعم الدارسين في مجال الابتكار العلمي لأجل حفظ الإرث وتداوله.

الكلمات المفتاحية: الجهود اللغوية – المذهب – آراء – التعضيد – اللهجات.

Abstract:

The study was entitled: Ibn al-Hajeb and his linguistic efforts, and aimed at highlighting the scientific contributions of Ibn al-Hajeb to those in charge of Arabic, as well as supplying the Arab library with the experiences of the former in order to inherit generations in the matter of Arabic.

The importance of the study implies that adequate is an important source in the field of Arabic study. His grammatical efforts, the general characteristics of Ibn Al-Hajeb's curriculum, and the most important characteristic of this world.

The study found that Ibn Al-Hajeb violates the grammar in many issues, and some of them object and respond to them as he has his own opinions. Ibn al-Hajeb and veterans of scholars, and support scholars in the field of scientific innovation in order to preserve and circulate inheritance.

Keywords: linguistic efforts, doctrine, opinions, support, dialects.

المقدمة:

الحمد لله على واسع فضله، وسابغ نعمته، والصلاة والسلام على من أوتى جوامع الكلم، أفصح من نطق بالضاد، سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آل بيته وصحابته أجمعين.

فإن كل مشتغل بعلم النحو، وتحقيق مسائله واستيعاب قواعده، لابد له من مصادر يستند إليها، ومنها كتاب: (المقدمة الكافية)، للعالم الحجة: ابن الحاجب، المتوفى سنة (646هـ). الذي نبغ في كثير من العلوم العربية والإسلامية ومنها علم النحو، فألف فيه رسالة موجزة، اشتهرت باسم (المقدمة الكافية)، وهي على اختصارها وشدة وجازتها، جمعت أهم مسائل النحو.

موضوع هذه الدراسة هو ابن الحاجب وجهوده النحوية وقد بينت الدراسة جهود ابن الحاجب في مجال الدراسات النحوية كما بينت مذهبه ومنهجه في التأليف النحوي.

اتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي لملائمته لطبيعة المادة المدروسة مع الاستعانة عند الضرورة بالمنهج التاريخي.

المحور الأول: حياته وعصره:

اسمه ولقبه ونسبه:

هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدُّوني الأسنائي، لقبه جمال الدين، وكنيته أبو عمرو، وهو معروف بابن الحاجب، لأن أباه كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي، خال صلاح الدين الأيوبي؛ وقد كانت وظيفة الحاجب آنذاك من الوظائف المهمة، ومن ثم عاش ابن الحاجب في كنف أسرة غنية (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس، ط1، 1998م، 216/3).

أخلاقه وشخصيته:

كانت أخلاق ابن الحاجب نسيجاً فنّاً من أخلاق العلماء في عصره، وقد انتزعت هذه الأخلاق ثناء الناس حتى أولئك الذين كانوا يخالفونه في رأي، حيث كان الرجل ثقة، حجة، متواضعاً، عفيفاً، كثير الحياء، منصفاً، محباً للعلم وأهله، محتملاً للأذى، صبوراً على البلوى، وكان صدوقاً، مخلصاً (أمالي ابن الحاجب، 1989م، ج1، ص18 وانظر البداية والنهاية 176/13).

عقيدته وثقافته:

كان ابن الحاجب من أبرز فقهاء مصر والشام في العصر الأيوبي، تفقه على مذهب الإمام مالك وتعمق فيه وفهمه حتى نبغ فيه، وصار رأساً عند المالكية بل شيخاً في عصره (الأمالي لابن الحاجب، 1989م، طبقات الشافعية للسبكي، ١٣٨٩هـ/1965م، 365/3).

إن ابن الحاجب كان من أشد العلماء تحمساً للعلم بمختلف فنونه مما جعله يحظى بالإطراء الحسن من الكثير من العلماء في زمانه وقد ظهر ذلك جلياً في مصنفاته التي لا تزال تثبت أن ابن الحاجب ظل عالماً طول حياته ساعياً لتحرير النحو من الخلافات والعلل التي أثارها الكثير من النحاة محاولاً إبرار آراءه الخاصة التجديدية وهذا ما يلتمس في كل مباحثه النحوية التي تطرق إليها ابن الحاجب في تراثه النحوي.

ثقافته:

كان ابن الحاجب من أبرز فقهاء مصر والشام في العصر الأيوبي، تفقه على مذهب الإمام مالك وتعمق فيه وفهمه حتى نبغ فيه، وصار رأساً عند المالكية بل شيخاً في عصره.

ابن الحاجب من الشخصيات الفذة في المجتمع النحوي ولكن لم تقتصر ثقافة ابن الحاجب على النحو، وإنما تبحَّر في الفقه أيضاً، فكان من أبرز فقهاء مصر والشام في العصر الأيوبي، تفقَّه على مذهب الإمام مالك، وصنَّف فيه تصانيف جليلة لا تزال تُعدُّ من أمهات المراجع الفقهية المعتمدة، وخاصة كتابه: "جامع الأمهات"، وألف كتابين في الأصول هما:

منتهى السؤال والأمل في علمي الأصول والجدل، وكتابه مختصر الأصول الذي اختصر فيه كتاب الأحكام للآمري، كما أنه برز في القراءات، وأخذها عن شيوخها كالشاطبي والغزنوي والبوصيري (ابن كثير 150/13؛ ابن الجزري 508/1، الذهبي، العبر في خبر من غبر، 255/3)

البيئات العلمية والمراكز الثقافية:

شهدت الفترة ما بين القرنين الخامس والسادس الهجري، مجموعة من المراكز العلمية في شتى أنحاء العالم الإسلامي، ويرجع ذلك إلى تفكك عالمنا الإسلامي إلى دويلات صغيرة، لكل عاصمتها، مثل القاهرة وبغداد، وغيرها، وصار العلماء والدارسين يتسابقون إليها من كل الأقطار.

أهم المراكز الثقافية وأشهرها في العالم الإسلامي، ثلاثة:

- مركز الإقليم الشرقي ويشمل أهم مدنه "خوارزم"، ومرو".
- مركز الإقليم الأوسط ويشمل العراق والشام ومصر.
- مركز إقليم الجبل ويشمل أصبهان.

أكثر هذه الأقاليم نشاطاً هو الإقليم الأوسط، وهو الذي كان به دولة الأيوبيين؛ حيث توافد العلماء، وزيادة المدارس، ورواد العلم والأدب بذلك صارت محجة لطالبي العلم.

مذهبه الفقهي والنحوي:

ثبت عبر التراجم أن ابن الحاجب فقهياً مالكي المذهب ولا شك في ذلك.

أما مذهبه النحوي الذي يتصفح مؤلفات ابن الحاجب يقف على ثقافة واسعة منوعة، وعقلية ناضجة، وفكر عميق. والذي تغلب عليه علم العربية، حيث صنف عدداً من الكتب القيمة في علم العربية مما يدل على سعة الإطلاع وعمق التحليل.

نجد في مصنفاته النحوية مجموعة من آراء أئمة النحو، ويظهر أنه كان متأثراً بمذهب البصريين إلى حد كبير. فهو كثيراً ما يتبنى آرائهم، ويحتجَّ بحججهم، ويستدل بأدلتهم دون تعقب في ذلك، والذي يؤكد أنه متأثر بهذا المذهب أتباعه وتأثره بكل من سيبويه وأبي علي الفارسي والزمخشري (شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، 1977، ص257).

يعد كتاب سيبويه أول كتاب نحوي رسم صورة المنهج البصري في دراسة العربية. والذي يتصفح مصنفات ابن الحاجب المختلفة يجده اعتنى كثيراً وتأثر بكتاب سيبويه فقد كان كثيراً ما ينقل عنه. كذلك ترجيح آرائه، ووقوفه موقف المؤيد ويظهر ذلك من خلال أقواله وتعليلاته. وأكبر دليل يؤيد صلة ابن الحاجب وميله للمذهب البصري، شرحه لكتاب سيبويه.

الذي ينظر في كتبه يجد كثيراً من آراء الفارسي، ولا شك أن أبو علي الفارسي كان يغلب عليه المذهب البصري. ويظهر تأثر ابن الحاجب بأبي علي الفارسي حيث إنه شرح كتابه "الإيضاح" في كتاب سماه "المكتفي للمبتدي" (شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، 1977، ص284).

مذهبه الفقهي:

قطعاً كان ابن الحاجب قضى كل حياته مالكي المذهب، حيث وصفه السبكي بقوله: "شيخ المالكية في زمانه" (تاج الدين السبكي، ١٣٨٩هـ/1965م، 265/3).

الحياة السياسية:

هي نظام الحكم السائد والصراعات التي تدور بين الحاكم والمحكوم من مؤامرات تحاك ودسائس بين تلك الفئات. وهي لا تبعدنا كثيراً عن الحياة الاجتماعية والتي تمثل المجتمع بكل أجناسه المختلفة، والصراعات والثقافات والتفاعلات القائمة بين تلك الأجناس ثم بعدها يأتي العنصر الثالث المهم وهي الحياة العلمية.

فالحياة السياسية كانت مليئة بالأحداث والصراعات هنا وهناك، أما الحياة الاجتماعية فقد مثلتها طبقات المجتمع الذي يتكون منه المجتمع المصري والحياة العلمية هي نتيجة للعنصرين السابقين.

الحركة الفكرية:

ازدهرت الحركة العلمية في عصر ابن الحاجب ازدهاراً واسعاً، فغدت مصر والشام محوراً لنشاط علمي متعدد الأطراف، وخير ما يدل على ذلك هو عظم الثروة العلمية التي وصلت من ذلك العصر وما زالت دور الكتب في جميع أنحاء العالم تزخر بمئات المخطوطات التي تناولت معظم ألوان المعرفة: الأدب والتاريخ والجغرافيا والعلوم الدينية، والطب والفلاحة والمعارف العامة(عاشور، الطبعة الثانية. ١٩٧٩م، 274).

ويتمثل هذا النشاط العلمي في ما يلي:

أ- الحديث والتفسير: احتل الدين في هذا العصر مكان الصدارة، وكان استمراراً طبيعياً للعصور السابقة، فظهر عدد ضخم من رجال الحديث على رأسهم ابن دُحيَّه "ت633" وبرع ابن عربي في التفسير الصوفي (السيوطي، الطبعة الأولى، 1396هـ، 188).

ب- الأدب: جدَّت عوامل نهضت بالأدب نهوضاً عظيماً، وسارت به أشواطاً جديدة، وكان من أهم هذه العوامل الحماسة الشديدة من أجل الدين، فقد صور الشعراء الأحداث والمشاعر والأحاسيس، وتغنوا بتحقيق الانتصارات، ووصفوا الواقع الذي حلَّ بالمسلمين، ولعل من أشهر شعرائها في هذا العصر البوصيري صاحب البردة (السيوطي، الطبعة الأولى، 1396هـ، 143/245).

ج- التاريخ: ظهر في هذا العصر طوائف كثيرة من المؤرخين تركوا لنا تراثاً ضخماً، على رأسهم ابن خلكان "ت 681" الذي ألف كتابة الفريد وفيات الأعيان الذي صار عمدة الباحثين في التراجم.

د- الفلسفة: ركد التفسير الفلسفي في الشرق الإسلامي؛ وذلك لموقف الغزالي، إلا أنه نشط في الغرب الإسلامي على يد ابن طفيل "ت 581"، وابن رشد الذي وضع كتابه تهافت التهافت رداً على كتاب الغزالي. وبعده لم يظهر في العالم الإسلامي كله فيلسوف يستحق الذكر غير ابن ميمون، وابن عربي، وابن سبعين (عبداللطيف حمزة، 1998م، 336،339).

الحياة الدينية:

انتشر التصوف في هذا العصر، إذ وفد على مصر كثير من مشايخ الصوفية، مثل أبي الحسن الشاذلي، وأبي العباس المرسي، وأبي القاسم القمباري، وأحمد البدوي، وهؤلاء وجدوا في مصر تربة صالحة لنشر تعاليمهم ومذاهبهم، فازداد عدد المصريين الذين أقبلوا على هذا اللون الجديد من ألوان الحياة الدينية، وأخذ السلاطين يتقربون إلى الله ببناء الخنقاوات، وكان لانتشار التصوف أثره الخطير في الحياتين الاجتماعية والفكرية، إذا اصطبغت بصفة الزهد والرغبة عن الدنيا، وترتب على هذا نشر روح الاستكانة والقناعة والتذلل للحكام (سعيد عاشور، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، 162-163).

وعلى وجه الخصوص اهتموا كثيراً بالمفصل الذي ألفه الزمخشري حيث شرحه كل من ابن يعيش والشخاوي وابن الحاجب.

فظهر اتجاهين:

أ- الذين تأثروا بالنحو البصري ومنهم ابن الحاجب وأبو حيان الأندلسي.

ب-الذين تأثروا بالاتجاهين البصري والكوفي وليس لهم رأياً مستقلاً مثل ابن مالك وابن هشام.

وفاته:

وبعد حياة حافلة بالتحصيل والبذل والعطاء في رحاب العربية اتفق المؤرخون عدا قنفذ والخوانساري بأن وفاة ابن الحاجب كانت سنة ست وأربعين وستمائة، هذا ما ذهب إليه ابن أبي شامة في كتابه ذيل الروضتين: "وجاءنا الخبر في ذي القعدة أن الشيخ أبا عمرو بن الحاجب رحمه الله توفي بالإسكندرية في شعبان سنة ستٍ وأربعين وستمائة للهجرة" (ذيل الروضتين، ط2، 1974م، ص182).

المحور الثاني: جهود ابن الحاجب النحوية:

إن الذي يدقق للتراجم التي ذكرها الذين ترجموا لابن الحاجب، تظهر له بأنه من ألمع العلماء الذين ظهروا في العصر الأيوبي، وأشهر علماء النحو الذين عاصرهم، أمثال ابن يعيش، وابن معط وابن مالك. ومما ذكره أصحاب التراجم قول ابن خلكان: "وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات والزامات، تبعد الإجابة عنها"(وفيات الأعيان 2/) وقول أبي شامة: "كان بارعاً في العلوم الأصولية وتحقيق علم العربية" (ذيل الروضتين، ط2، 1974م، ص182)، وقول النعيمي: "وحرر النحو تحريراً بليغاً، تفقه وساد أهل عصره، وكان رأساً في علوم كثيرة، منها: الأصول والفروع، والنحو، والتصريف، والعروض، والتفسير، وغير ذلك"، وقال الذهبي: أنه كان من أدباء أهل زمانه وأبلغهم بياناً " (الذهبي، العبر في خبر من غبر، 1966م" 189/5)، وقال صاحب مفتاح السعادة: "ولزم الاشتغال حتى برع في الأصول، والعربية، وكان من أذكياء العالم" (مفتاح السعادة 138/1-140)، ومن هنا يتضح لنا أهمية ابن الحاجب عند المعاصرين له والمتأخرين عنه، والعلم والتحقيق؛ ولإماطة اللثام، وجلاء الحقيقة نحاول معرفة مدى انطباق هذه الأقوال على شخصيته.

آراء ابن الحاجب التجديدية في النحو:

قد مرت الدراسات النحوية بعدة أدوار، أهمها دور النشوء، على يد أبي الأسود الدؤلي، ودور تقعيد القواعد، وتعليل العلل النحوية المختلفة على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي(للزجاجي، ص65، شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، 1977، ص23-25-28)، ودور التأليف في الدراسات النحوية واللغوية ولم يصلنا إلا كتاب سيبويه.

ويظهر تجديد ابن الحاجب في محورين:

الأول: استعماله للطرق المنهجية المقبولة.

الثاني: تسهيل المادة النحوية للباحثين.

موقفه من المذاهب النحوية:

أ- مذهب ابن الحاجب النحوي في الكافية:

وقد خالف ابن الحاجب البصريين لكنه يصرح نصاً بهذا الخلاف مثلما فعل مع الكوفيون، فخالفهم ضمناً . وذلك نحو: عامل الرفع في الفعل المضارع، وهناك من خالفهم من البصريين مصرحاً بذلك، نحو: قوله خلافاً لـ ... سيبويه ويونس بن حبيب والمازني والمبرد، والزجاج وغيرهم.

خالف ابن الحاجب الكوفيين في مواضع كثيرة منها: أن "من" تأتي حرف جر زائدة وأن ضمير "رب"مفرداً مذكراً، ومنع العطف على اسم "إن" المكسورة بالرفع قبل تمام الخبر. في هذه المسائل خالفهم صراحة، وأيضاً خالفهم ضمناً في مواضع كثيرة منها:

العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض، وبناء المنادى المفرد المعرفة؛ ومنع إضافة الاسم إلى اسم يوافقه في المعنى، ومنع تقديم خبر "ما" النافية عليها، وغيرها من المسائل، وهي من أكثر المسائل التي خالف فيها الكوفيين ضمناً، كما أن هناك من خالفهم من الكوفيين صراحة، مثل الكسائي، والفراء، وابن كيسان، وسيذكر الباحث في هذا الجزء نماذج لتلك المسائل التي خالف فيها الكوفيين ليس حصراً بل على سبيل المثال.

ب- ابن الحاجب والمذهب البصري:

المسائل التي خالف فيها البصريين ضمناً :

المسألة: عامل الرفع في الفعل المضارع:

قال ابن الحاجب الفعل المضارع: "ويرفع إذا تجرد عن الناصب والجازم نحو: تقوم" ("متن الكافية" 416).

رفع الفعل المضارع لتجرده من الناصب والجازم، وهذا هو المختار عند ابن الحاجب وأكثر الكوفيين، وحجتهم في ذلك أن الفعل المضارع تدخل عليه النواصب والجوازم، فإذا دخلت عليه النواصب دخله النصب نحو: "أريدُ أن تقوَم"، وإذا دخلت عليه الجوازم، دخله الجزم نحو: "لم يقُم زيدٌ"، وإذا لم تدخله النواصب أو الجوازم يكون مرفوعاً، نحو: "كان زيدٌ يقوَم" لأن لا يجوز أن يقال: "كاد زيدٌ قائماً" فلما وجب رفعه بالإجماع دل على صحة ما ذهبوا إليه، وخالف الكسائي الكوفيين قائلاً: بأن المضارع يرتفع بالزائد في أوله وأما البصريون فيقولون: بأنه يرتفع لقيامه مقام الاسم وذلك لأن قيامه مقام الاسم عامل معنوي، فأشبه الابتداء والابتداء يوجب الرفع، فكذلك ما أشبهه هذا الوجه الأول، أما الوجه الثاني أنه بقيامه مقام الاسم قد وقع في أقوى أحواله فلما وقع في أقوى أحواله وجب أن يعطي أقوى الإعراب، وهو الرفع (أبي سعيد الأنباري النحوي، 1953هـ"، 319/2).

ج- من خالفهم من البصريين:

الخليل وأبو عمر وأبو العباس:

المسألة: توابع المنادى المبني:

قال ابن الحاجب: "وتوابع المنادى المبني المفردة من التأكيد والصفة وعطف البيان، والمعطوف الممتنع دخول "يا" عليه ترفع على لفظه، وتنصب على محله، مثل "يا زيدُ العاقلُ والعاقل، والخليل في المعطوف يختار الرفع، وأبو عمرو النصب، وأبو العباس إن كان كالحسن فكالخليل، والا فكأبي عمر" ("متن الكافية" ص389).

فصل ابن الحاجب التوابع الجاري فيها هذا الحكم وهي:

التأكيد والصفة مطلقاً، وعطف البيان المعطوف بحرف الممتنع دخول "يا" عليه بخلاف البدل، فأجاز فيها الرفع والنصب، فالرفع عملاً على لفظه الظاهر أو المقدر لأن بناء المنادى عرضي فيشبه المعرب، فيجوز أن يكون تابعه تابعاً لمحله ومحله منصوب على المفعولية نحو: يأتي أجمعون وأجمعين في التأكيد، وفي الصفة: يا زيد العاقل والعاقل، وفي عطف البيان: يا غلام بشر وبشراً، وفي المعطوف بحرف الممتنع دخول "يا" عليه: يا زيد الحارث والحارث، واقتصر على الصفة لأنها أكثر وأشهر استعمالاً (البغدادي 1417هـ - 1996م" 369/2؛ ابن الحاجب ص28، الفوائد الضيائية 329/1-330).

د- ابن الحاجب والمذهب الكوفي:

1-المسائل التي خالف فيها الكوفيين نصاً :

المسألة: "من" حرف جر زائد.

قال ابن الحاجب: (زائدة في غير الموجب خلافاً للكوفيين والأخفش، "وقد كان من مطر" وشبه متأول) ("متن الكافية" 423).

"من" الزائدة تعرف بأنك لو حذفتها لكان الكلام مستقيماً، وهي توكيد بمنزلة "ما" إلا أنها تجر، لأنها حرف إضافة، ومن ذلك قوله: ما أتاني من رجل، وما رأيت من أحد، ولو أخرجت "من" كان الكلام حسناً، ولكنه أكد بـ "من" لأن هذا موضع تبعيض (سيبويه 25/4).

والمختار عند ابن الحاجب: أن "من" تكون حرف جر زائد في حالة النفي، ولا تكون زائدة في غير النفي، وأما ما استشهد به " وقد كان من مطر" فهو متأول من "قد كان شيء من مطر" (شرح الوافية نظم الكافية، ص381).

2-المسائل التي خالف فيها الكوفيين ضمناً :

المسألة: العطف على الضمير المخفوض بدون إعادة الخافض:

قال ابن الحاجب: "وإذا عطف على الضمير المجرور أعيد الخافض نحو: مررت بك وزيد" (مجموع مهمات المتون "متن الكافية" 400-401).

لا يعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، لأن المجرور إذا كان مضمراً اشتد اتصاله بالجار ولم ينفصل منه، ولهذا لا يكون إلا متصلاً فامتنع العطف عليه لما لم يكن له مضمر منفصل لذلك أعادوا العامل الأول ليكون في حكم الاستقلال ومنهم من قال: إن المضاف إليه إذا كان مضمراً صار بمنزلة التنوين، وكما لا يعطف على التنوين، كذلك لا يعطف على هذا المضاف إليه، وكونه مشابهاً للتنوين لا يستقل معه كلاماً، كما أن التنوين لا يستقل مع المنون كلاماً (ابن الحاجب 456/1).

3- من خالفهم من الكوفيين:

* الفراء:

المسألة: الإضافة اللفظية "الضارب زيد"

قال ابن الحاجب: (وامتنع لضارب زيد خلافاً للفراء) ("متن الكافية" 398)، "تكون الإضافة اللفظية بإضافة صفة إلى معمولها، مثل:ضارب زيد، ولا يفيد إلا تخفيفاً " (ابن الحاجب، ص70).

منع ابن الحاجب إضافة "الضارب" إلى "زيد" وذلك لأن الإضافة اللفظية تفيد التخفيف في اللفظ، والتخفيف يكون بحذف النون في المثنى، وجمع المذكر السالم، نحو: الضاربا زيد، الضاربو زيد، على الترتيب، أو بحذف التنوين من المفرد المعرّف، مثل: ما يزال الحُر همام نفس إلى المعالي.

4- الآراء التي انفرد بها ابن الحاجب:

سار ابن الحاجب في ركب البصريين، ثم خالفهم متبعاً الكوفيين في بعض المسائل التي وضع فيها الحق بجانبهم، وكان يدور حول هذين المذهبين، فيختار أقربهما إلى نفسه، وأصحهما في عقله وأقواهما في نقله، أو أنه خرج عن هذه الدائرة يلتمس الدليل بنفسه من غير نظر إلى هذا المذهب أو ذلك، وكل الأدلة تؤيد هذا الاتجاه، وتثبت أن ابن الحاجب كان إماماً مجتهداً في النحو كما كان مجتهداً في الفقه، ومعنى هذا أن لابن الحاجب آراء انفرد بها، وتوجيهات نحوية لم يسبقه أحد فيها، وقد أقرَّ له بذلك كل من ترجموا له وكتبوا عنه فقالوا: (وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات والزامات تعذر الإجابة عليها) (شذرات الذهب 234/5).

ومن المسائل التي خالف فيها النحاة: الاستفهام المسوِّغ والابتداء بالنكرة، وهو الهمزة المعادلة بأن، وقوله بأن الإضافة لا تفيد إلا التخفيف، بشرط استعمال "إلا" بمعنى غير، خالف الجمهور في أن كل ما دلَّ على هيئة صحَّ أن يقع حال، وغيرها من المواضع (شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، 1977، ص78).

المحور الثالث: الخصائص العامة لمنهج ابن الحاجب:

التقعيد المتفرع:

قد يبدأ ابن الحاجب بقاعدة عامة يضعها ثم يوضح ما تفرع منها من قواعد. مثال ذلك: قوله في البدل: (تابع مقصود بما نسب إلى المتبوع دونه، وهو بدل الكل، والبعض، والاشتمال، والغلط) (شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، 1977، ص402).

وأيضاً قوله في المعرفة: (ما وضع لشيء بعينه، وهي المضمرات والأعلام والمبهمات، وما عرف باللام بالنداء، والمضاف إلى أحدها معنى) (شوقي ضيف، الطبعة الثالثة، 1977، ص408).

2/ التقعيد العام:

كثيراً ما ينطلق من قاعدة عامة يضعها ثم يبدأ بتوضيحها مثال ذلك قوله في المبتدأ النكرة : (وقد يكون المبتدأ نكرة إذا تخصصت بوجه ما) مثل (ولعبد مؤمن خير من مشرك) (سورة البقرة، آية 22)، وأرجل في الدار أم امرأة، وما أحد خير منك، (وشر أمر ذا ناب)، (وفي الدار رجل، سلام عليك) (متن الكافية ص386).

ثانياً: الاستشهاد

1/ منهجه في عرض الشواهد:

استقى النحويون شواهدهم من مصادر ثلاثة هي القرآن الكريم وقراءاته، والحديث النبوي الشريف على مذاهب فيه، وكلام العرب الموثوق بهم من شعر، ونثر، هذه المصادر هي أساس القياس اللغوي، ولذا فهي النموذج الذي يقاس عليه، وللنحاة في كل منها مواقف متعددة ومناهج، واتجاهات مختلفة.

استشهد ابن الحاجب في كتابه الكافية بـ:

أولاً : الشواهد القرآنية:

عدد الشواهد القرآنية التي استشهد بها ابن الحاجب في الكافية قليل جداً إذا ما قورن بحجم المادة التي يحويها الكتاب، كما أن ابن الحاجب من حفظة كتاب الله خبير بمعانيه، وهو ملم بالقراءات القرآنية، رغم كل ذلك استشهد بعدد قليل من الآيات القرآنية، وإنما يرجع لالتزامه بالنهج الذي انتهجه في هذا الكتاب وهو الإيجاز.

2/ منهج ابن الحاجب في الاستشهاد بالآيات القرآنية:

لم يكن ابن الحاجب في استشهاده بآيات القرآن الكريم يلتزم منهجاً واحداً، بل تنوع منهجه، من حيث كيفية إيراد الشاهد القرآني وتعقيده حينما يقتضيه المقام، ومن ذلك:

-كيفية إيراد الشاهد القرآني:

تنوعت أشكال إيراد الشاهد القرآني وعرضه عند ابن الحاجب ما بين كلمة من الآية إلى أكثر من آية، إذا كان يهتم بموضع الشاهد من الآية القرآنية لذا كان من منهجه.

أ- الاستشهاد بكلمة من الآية:

كان من منهجه في الاستشهاد بآي الذكر الحكيم أن يكتفي بذكر كلمة واحدة موضع الشاهد، ومن ذلك قوله في المنادى: [وبحذف المنادى لقيام قرينة جوازاً نحو: ألا يسجدوا (سورة النحل، الآية 25)] (مجموع مهمات المتون(متن الكافية)، ص391)، وأيضاً قوله في نواصب المضارع: [ولن مثل (لن أبرح) (سورة يوسف، ألآية 80)، ومعناها نفي المستقبل] ((متن الكافية)، 416).

ب- الاستشهاد بجزء من الآية:

وكان من منهجه أن يستشهد بجزء من الآية، وذلك عناية منه بموضع الشاهد، وذلك مثل قوله في نواصب المضارع: [ولام الجحود لام تأكيد بعد النفي لكان مثل: (وما كان الله ليعذبهم) (سورة الأنفال، الآية33)]((متن الكافية) ص417)، وكذلك قوله في النعت: (... وقد يكون لمجرد الثناء، أو الذم أو التأكيد، مثل(نفخة واحدة) (سورة الحاقة، الآية13))((متن الكافية) ص399-400).

ج- الاستشهاد بآية كاملة:-

صار من منهج ابن الحاجب في الاستشهاد بالقرآن الكريم أن يورد الآية كاملة ومن ذلك قوله في ما أضمر عامله على شريطة التفسير(...ويختار النصب بالعطب على جملة فعلية للتناسب، وبعد حرف النفي وحرف الاستفهام، وإذا الشرطية، وحيث، وفي الأمر، والنهي إي هي مواقع الفعل، وعند خوف لبس المفسر بالصفة مثل: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) (سورة القمر، الآية 49))((متن الكافية)).

د- الاستشهاد بجزء من الآية ومعها جزء مما يليها:-

وكذلك استشهد بجزء من الآية ومعها جزء أيضاً من التي تليها، وذلك عندما يكون المعنى محتاجاً لذلك الجزء لإقامة الشاهد النحوي، وذلك في مثل قوله في البدل: (وإذا كان نكرة من معرفة فالنعت واجب نحو: بالناصية ناصية كاذبة (سورة العلق، الآية 15-16.))((متن الكافية) ص 402.).

2/ تعضيد الشاهد:

من الملاحظ في منهج ابن الحاجب عند الاستشهاد أن لا يكتفي بالشاهد الواحد في المسألة، لكنه يذكر شاهد آخر يقوي به الشاهد الذي أورده للمسألة المعنية.

وهذا الأمر أي (تعضيد الشاهد) قليل جداً عنده، وله في ذلك طرق إما أن يأتي بشاهد من جنسه أو يقويه الشاهد بشاهد من غير جنسه مثال ذلك:

أ- تقوية الشاهد بما هو من جنسه:

أي إذا ذكر شاهد قرآني يأتي بشاهد قرآني آخر نحو قوله في أفعال المدح والذم : [وقد يحذف المخصوص إذا علم (نعم العبد)(سورة ص، الآية 30) (فنعم الماهدون (سورة الذاريات، الآية 42)] (مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 422).

ب- تأكيد الشاهد بآخر من غير جنسه:

غالباً ما يأتي ابن الحاجب بشاهد قرآني ثم يؤكده بقول عام مثل:قوله في حذف الفعل وجوباً : (...وجوباً في أربعة مواضع: الأول سماعي مثل امرأة ونفسه، (وانتهوا خيراً لكم)(سورة النساء آية 171)وأهلاً وسهلاً)((متن الكافية) ص 389).

يرى الباحث أن ابن الحاجب لم يستشهد بآيات كاملة متتالية وكذلك لم يستشهد بالآية مجزأة، ولم يذكر الآية الوحدة في أكثر من موضع، وأيضاً لم يقوي الشاهد القرآني بآخر شعري، كذلك لا يكتفي بالإشارة إلى الشاهد بل لابد من إيراده، وأيضاً لم يقدم الآيات بقوله تعالى: ولا يوجد ما يشير إلى أنها آية قرآنية.

ثانياً: الشواهد الشعرية:

بالضرورة معرفة تقسيم العلماء للشعراء إلى أربع طبقات هي(البغدادي، 1/3-4):

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليين.

الطبقة الثانية: الشعراء المخضرمين.

الطبقة الثالثة: الشعراء المتقدمين (الإسلاميون).

الطبقة الرابعة: الشعراء المولدين (المحدثون).

فلا جماع على استشهاد بشعر الطبقة الأولى والثانية، ويرى البغدادي يصح الاستشهاد بشعراء الطبقة الثالثة أما الرابعة فالصحيح ألا يستشهد بشعرهم مطلقاً ، ومن العلماء من يرى الاستشهاد بشعر من وثق به منهم هذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي والزمخشري وتبعهم في ذلك الرضي.

منهج ابن الحاجب في الاستشهاد بالشعر:

استشهاد ابن الحاجب بالشعر قليل في كتابه الكافية، حيث يوجد انا عشر شاهداً فقط رغم غزارة المادة التي يحويها الكتاب، ومن قلة الشواهد الشعرية أن ابن الحاجب لم يلتزم منهاجاً معيناً في طريقة تناوله للشواهد من الشعر مثال ذلك:

1/ كيفية إيراد الشاهد الشعري:

تباينت طريقته في إيراد الشاهد الشعري أحياناً بذكر كلمة في البيت أو بذكر نصف البيت أو بذكر البيت كاملاً وقد يتجاوز البيت إذا اقتضت القاعدة ذلك الأمر. واليكم أمثلة لمنهجه في ذلك:

أ- إيراد موضع الشاهد من البيت:

يأخذ ابن الحاجب الشاهد من الشعر حسبما تقتضيه الأمر، فيوجه عنايته واهتمامه إلى موضع الشاهد فقط مثل قوله في الحال: (وشرطها أن تكون نكرة وصاحبها معرفة غالباً نحو: (وأرسلها العراك) ((متن الكافية)، ص393).

ب- إيراد أنصاف الأبيات:

يذكر ابن الحاجب نصف البيت متفياً به،وهذا كثير جداً ، مثل قوله في عطف البيان: (وفعله من البدل لفظاً في نحو (أنا بن التارك البكري بشر)) (مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص 402)

ج-إيراد البيت كاملاً :

يأتي ابن الحاجب بالبيت كاملاً وذلك في نحو قوله في أفعال المقاربة (كاد) ودخول النفي عليه : (وإذا دخل النفي على كاد، فهو كالأفعال على الأصح، وقبل يكون في الماضي للإثبات، وفي المستقبل كالأفعال متمسكاً بقوله (وما كادوا فعلون))(سورة البقرة، الآية 71) ويقول ذي الرمة:

إذا غير الهجر المحبين لم يكد ** رسيس الهوى من حب مية يبرح

د- إيراد البيتين كاملين:

ابطياً من منهجه أن يذكر بيتين كاملي، ومثال ذلك قوله: في اسم التفضيل استشهد على أن [أفعل فيه من قبيل، رأيت كعب زيد أحسن فيها الكحل((متن الكافية) ص 421)]

مررت على وادي السباع ولا أدري ** كوادي السباع حين يظلم وادياً

أقل به ركب أتوه تئبه ** وأخوف إلا ما وفي الله ساريا

ولم يستشهد ببيتين كاملين في كافيته إلا في هذا الموضع

مما سبق يتضح لنا النهج الذي انتهجه ابن الحاجب في إيراد الشواهد الشعرية في كتابه الكافية، ويرى الباحث أن ابن الحاجب لم يذكر الشاهد الواحد أكثر من مرة واحدة أي أنه لم يكرر شاهد قط كما أنه لم يقوي الشاهد بآخر من جنسه، ولكن قد يقويه بآخر من غير جنسه.

مثال ذلك قوله في الحال:(وشرطها أن تكون نكرة وصاحبها معرفة غالباً (وأرسلها العراك)، ومررت به وحده) ((متن الكافية) ص 393).

2/ نسبة الشاهد إلى قائله:

كذلك لم تلتزم ابن الحاجب منهجاً واحداً في نسبتها إلى قائلها فهو تارة ينسب الشاهد لقائله وأحياناً كثيرة يتركه دون نسبة، أو حتى دون إشارة إلى مصدره، إذن نلاحظ أن له منهجان في نسبة الشاهد هما:

أ- نسبة الشاهد إلى قائله:

مثل قوله في التنازع : وإن أعلمت الأول أضمرت الفاعل في الثاني والمفعول على المختار إلا أن يمنع فتظهر نحو:

قول امرئ القيس: (كفاني ولم أطلب قليل من المال) ليس منه لفساد المعنى.

ب- ترك الشاهد خالياً من النسبة إلى قائله:

نجد أن أكبر نسبة من الشواهد الشعرية التي استشهد بها ابن الحاجب في الكافية تركها دون أن ينسبها إلى قائلها أو لمن أنشدوها، أو حتى لمن استدلوا بها من النحاة.

ثالثاً : الشواهد النثرية:

اهتم ابن الحاجب بالشواهد النثرية، وبالأخص الجمل التي من إنشائه.

ينقسم الشواهد النثرية في الكافية إلى:

1- أمثال عربية.

2- أقوال عامة.

3- جمل نثرية من إنشائه.

منهج بن الحاجب في الاستشهاد بالنثر:

قد تنوع منهج ابن الحاجب في الكافية من حيث عرضه للشواهد النثرية فكان يعرض شاهداً واحداً أو شاهدين، أو أكثر، وقد يؤكد الشاهد بآخر من جنسه أو من غير جنسه.

أولاً : الأمثال:

لميذكر ابن الحاجب أمثالاً كثيراً، وجملة الأمثال في كتاب الكافية، التي استشهد بها أربع أمثال، حيث استشهد بثلاثة منها في موضع واحد، وهو حذف حرف النداء، نحو قوله: ويجوز حذف حرف النداء إلا مع اسم الجنس، والإشارة، والمشتقات، والمندوب نحو: يوسف أعرض عن هذا (سورة يوسف، الاية29)، وأيها الرجل، وشدا ليل، وامتد مخنوق، وأطرق كرا. ((متن الكافية) ص 391).

ثانياً: الأقوال العامة:

الاستشهاد بالأقوال العامة كثير في كتاب الكافية، لكنه مع كثرتها لم ينسبها لقائلها، وتعدد منهجه في عرضها مثل: يذكر قولاً واحداً ومثال ذلك قوله في الحال: (وكل ما دل علي هيئة صح أن يقال حالاً نحو: (هذا يسراً أطيب منه رطباً)) ((متن الكافية) ص394).

ويلاحظ الباحث أن ابن الحاجب لم يوقي القول بآخر أو بجملة نثرية من إنشائه، بل يكتفي بذكر مقولة واحدة في الموضع.

ثالثاً: جمل نثرية:

كان منهجه في الاستشهاد بهذا الجمل على النحو التالي:

أ- ذكر جملة واحدة:

ورد في كتاب الكافية أن مؤلفه استشهد بجملة واحدة من إنشائه، مثال ذلك قوله في المبتدأ: (وقد يحذف لقيام قرينة جوازاً نحو قول المستهل (الهلال والله)، أي هذا الهلال والله) ((متن الكافية) ص 387).

ب- ذكر جملتين:

كذلك ظهر في منهج ابن الحاجب بذكر جملة، ويؤكد بجملة أخرى، نحو: قوله في حرف الاستفهام : (الهمزة وهل ولها صدارة الكلام نقول: (أزيد قائم)، أقام زيد) وكذلك هل) ((متن الكافية) ص427).

ج- ذكر أكثر من جملتين:

أيضاً من منهجه قد يذكر أكثر من جملتين في الموضوع الواحد، أي يؤكد الجملة بأكثر من جملة، نحو قوله في خذ عامل المفعول المطلق: (ووجوباً سما، مثل (سقياً ورعياً وخيبةوجدعاً وحمداً وشكراً وعجباً)) ((متن الكافية) ص 388).

يلاحظ الباحث أن الأمثلة التي كان يضعها ابن الحاجب، تتسم بالوضوح، والسهولة، لذلك أكثر منها، حتى يصل إلى هدفه الذي ينشده وهو تسهيل مادة النحو وتذليل صعابها وتقديمها للمتعلم بطريقة سهلة تعين الدارس على فهم العلم، أي علم النحو.

أغراض الشواهد:

شهادة ابن الحاجب في تعدد منهجه عند إيراد الشواهد كذلك تعددت أغراضها في كتابه الكافية، فعلى سبيل المثال يورد الشاهد ليوضح قاعدة نحوية، أو لتعدد أوجه إعرابه أو لشذوذ القاعدة النحوية، أو ليدحض به رأياً مخالفاً لرأيه وغير ذلك من الأغراض، وهنا يؤكد الباحث أمثلة لذلك:

أولاً : أغراض الاستشهاد بالقرآن:

يأتي ابن الحاجب بالشاهد القرآني لأغراض أهمها:

أ- اطراد الظاهرة النحوية:

وهذا النوع هو الأكثر الشواهد التي استشهد بها ابن الحاجب في كتابه الكافية، والظاهرة النحوية المتطردة، أي أنها مما لا يمنع القياس عليها، مثل قوله: في وجوب حذف الفعل الرافع للفاعل: (ووجوباً في: (وإن من المشركين استجارك) (سورة التوبة الآية 6)) ((متن الكافية) ص385).

والتقدير: وإن استجارك أحد من المشركين استجارك و(أحدٌ) فيها فاعل فعل محذوف وجوباً ، وهو (استجارك) الأول المفسر باستجارك الثاني، واضحاً وجب حذفه لأن مفسره قائم مقامه مغني عنه ولا يجوز أن يكون (أحد) مرفوعاً بالابتداء.

ب- المقيس عند النحاة:

وذلك كحذف عامل المفعول المطلق وجوباً وقياساً في مواضع منها ما وقع تفصيلاً لأثر مضمون جملة متقدمة، نحو: (فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) (سورة محمد الآية4) (مجموع مهمات المتون(متن الكافية) ص388)، بعض مضمون الجملة، مصدرها مضافاً إلى الفاعل أو المفعول، فمضمون(شدو الوثاق) شد الوثاق ويعني بأثره غرضه المطلوب منه، والغرض المطلوب من شد الوثاق إما المن أو الفداء، ويعني بتفضيل الأثر، بيان أنواعه المحتملة، ففضل الله سبحانه وتعالى هذا هو الغرض المطلوب بقوله: فإما مناً وإما فداء، أي ما تمنون مناً بعد الشد وإما تفدون فداء(ابن الحاجب، 1985م 120/1-121، الفوائد الضيائية 1314/1).

ج- عدم إنشاء الظاهرة النحوية (شذوذها):

كذلك كان يسوق شواهد للدلالة على عدم شيوع الظاهرة النحوية، أي أن الشاهد وأمثاله مما يقل استعماله ويندر، وبذلك يكون مخالفاً للقاعدة العامة، فيحفظ ولا يقاس عليه، وذلك مثل قوله في الممنوع من الصرف: (ويجوز صرفه للضرورة أو التناسب نحو: ﴿سلاسلاً وأغلالاً﴾(سورة الإنسان، الآية4))(مجموع مهمات المتون (متن الكافية 383). حيث صرف (سلاسلاً) ليناسب المنصرف الذي يليه أي (أغلالاً) (الكافية في النحو 38/1).

ثانياً: أغراض الاستشهاد بالشعر: ومنها:

1/ اطراد الظاهرة النحوية: (شيوع القاعدة النحوية)

وهو القسم الأكبر بحيث يأتي بالشاهد ليوضح أن هذه الظاهرة كثيرة الانتشار، فيكون الشاهد في مقام شرح المسائل، واتباع لقواعدها، ومن ذلك.

أ- **توضيح قاعدة نحوية:** مثل قوله في جواز حذف عامل الفاعل: (وقد يحذف الفعل لقيام قرينة جوازاً في مثل زيد لمن قال من قام؟ ولبيك يزيد ضارع لخصومه)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية) 385).

ب- **تعدد أوجه الإعراب:** ومن مصادر ذكره الشاهد لتعدد أوجه الإعراب، قوله في كنايات العدد(كم) في إعرابها: (كم عمة لك يا جرير وخالة) (مجموع مهمات المتون (متن الكافية 385) ثلاثة أوجه(مجموع مهمات المتون (متن الكافية 407)، وهي الجر على أن (كم) خبرية، والنصب على أن (كم) استفهامية، والرفع على أن المميز محذوف، ويكون ارتفاعه عمة بالابتداء(الكافية 98/2).

ج- أبطال الرأي المخالف:

كذلك مما استشهد به لإبطال رأي مخالف، بحيث يكون حجة قاطعة على بطلان الرأي المخالف لرأيه، مثل قوله: في أفعال المقاربة (كاد): (وإذا دخل النفي على كاد، فهو كالأفعال على الأصح،وقيل يكون للإثبات مطلقاً ، وقيل يكون في الماضي للإثبات وفي المستقبل كالأفعال تمسكاً بقوله: (ما كادوا يفعلون)(سورة البقرة، الآية 71).

د- **عدم بشيوع الظاهرة النحوية:** مما ذكر مثل قوله في الحال: (... وشرطها أن تكون نكرة وصاحبها معرفة غالباً وأرسلها العراك).

ثالثاً: أغراض الاستشهاد بالنثر:

أ- **توضيح القاعدة النحوية وشرحها:**

مثل قوله في التمييز: (ما يوقع الإبهام المستقر عن ذات مذكورة أو مقدرة فالأول عن مفردة مقدار غالباً إما في العدد نحو: عشرون درهماً ، وإما في غيره نحو: رطل زيتاً ، ومتوان سمناً ، وعلى التمر مملها زيداً)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 394).

ب- تعدد أوجه الإعراب:

مثل قوله في المنصوب ب(لا) التي لنفي الجنس: (وفي مثل لا حولا ولا قوة إلا بالله خمسة أوجه وفتحها وفتح الأول ونصب الثاني وفتح الأول، ورفع الثاني، ورفعها ورفع الأول على ضعف وفتح الثاني)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 397).

ج- **أبطال الرأي المخالف:** مثل قوله في المندوب: (ولا يندب إلا المعروف، فلا يقال رجلاه، وامتنع وأزيد الطويلاه خلافاً ليونس)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 394).

د- **عدم شيوع الظاهرة النحوية:** مثل قوله في الحال: (كل ما دل على هيئة صح أن يقع حالاً ، مثل هذا يسراً أطيب رطباً).

الظواهر اللهجية:

تقطر هذه الظواهر بمثابة شواهد لشذوذ الظاهرة النحوية ومخالفتها للقاعدة، ولهذا فهي تحفظ ولا تقاس عليها، وذكر منها ابن الحاجب في الكافية وكان ينسب هذه اللهجات إلى قبائلها، ومن هذه القبائل:

1/ تميم:

ذكر لهجة بني في أكثر من موضع مثال ذلك قوه في العلل المانعة للعرف: (العدل:خروج الاسم عن صبغته الأصلية تحقيقاً ، كثلاث ومثلث آخر وجمع، أو تقديراً كعمر، وزفر، وباب قطام في بني)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 353).

2/ هذيل:

كذلك صور للهجتهم في أكثر من موضع منها: مثل قوله في الإضافة: (إذا أضيف الاسم الصحيح أو الملحق به إلى ياء المتكلم كسر آخره والياء مفتوحة أو ساكنة،فإن كان آخره ألفاً ثبتت وهذيل تقبلها لغير التثنية ياء)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 394).

3/ الحجازيين:

أيضاً تعرض للغة أهل الحجاز وذلك في قوله: (وغلاب مبني في الحجاز ومعرب في بني تميم)(مجموع مهمات المتون (متن الكافية، 406).

وبهذا تظهر نزعة ابن الحاجب التجديدية وموقفه من اللهجات العربية.

المحور الرابع: أهم ما يميز ابن الحاجب في إسهاماته اللغوية:

خالف ابن الحاجب في مسائل عديدة أكثر النحويين، بل تفرد بآراء جديدة اعترض بها أئمة النحو ومؤسسيه – وإن لم يسهم في بعضها – أمثال سيبويه وأبو علي الفارسي والزمخشري وغيرهم.

من ذلك قضية الإضافة في نحو: (لا أبا لك وغلامي لك)

نقل النحويون عن العرب هذا القول واختلفوا في تخريجه، فذهب سيبويه وجمهور النحويين إلى أن الاسم بعد (لا) يضاف إلى الاسم الذي بعد (اللام) وتكون اللام زائدة مؤكدة للإضافة ويكون لفظ الاسم الأول كلفظ الاسم المضاف، بدليل ثبوت الألف في (أبا)، وحذف النون في (غلامي)، ولا يستعمل أبا تاماً إلا في حال الإضافة (الكتاب:276/2، والمقتضب: 373/4 – 376، والأصول في النحو: 389/1، الزجاجي: 100).

أما ابن الحاجب فقد خالفهم فذهب إلى أن (لا أبا لك) و(لا غلامي لك) مشبه بالمضاف وليس مضاف، علل ذلك بقوله: (وإنما شبه بالمضاف وهذه اللغة قليلة لمشاركة المضاف في أصل معناه؛ لأن معنى قولك (أبوك): أبٌ لك، فقد اشتركا في هذا المعنى ونسبة الأبوة إلى المذكور بعد اللام مثلها في الإضافة، فحُمل على المضاف فأجري مجراه (شرح المقّدمة الكافية:579/2) فرد رأي سيبويه ودعم رأيه بقوله: (وإنما غرَّه من ذلك وجود أحكام الإضافة فظن أنه مضاف وليس بمستقيم لأمرين: إحداهما: أنا نجزم بأن قولهم (لا أبا لك) بمعنى: لا أبٌ لك، ولا خلاف في أن (لا أب لك) غير مضاف وجب أن يكون مثله. ثانيهما: أن (لا) هذه لا تدخل إلا على النكرات، ولو كان مضاف لكان معرفة، وحينئذ يمتنع دخول (لا) عليه، وصحة دخولها دليل على أنه غير مضاف. (شرح المقّدمة الكافية: 580/2 –581)

اعتمد ابن الحاجب في أغلب آراءه التي تفرد بها واعترض بها سابقيه من أئمة النحو على المعنى النحوي، فكان المعنى هو الأصل في رد آراء النحويين.

يقول سيبويه: ((وأمّا قول العرب في الجواب (إنّه) ، فهو بمنزلة أَجَلْ، وإذا وصلتَ قلت: إنّ يا فتى، وهي التي بمنزلة أَجَلْ))(كتاب سيبويه: 151/3).

واستدلّ سيبويه وأكثر النحويين على مجيء (إنَّ) بمعنى (نَعم) بقول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقّيات(ديوانه: 212) (من مجزوء الكامل):

وَيُقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَاكَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ

واعترض ابن الحاجب على استدلال النحويين بهذا البيت بقوله: ((وأمّا استدلالهم على أنّ (إنَّ) بمعنى (نَعم) في قوله:

وَيُقُلْنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا كَ وَقَدْ كَبِرْتَ فَقُلْتُ إِنَّهْ

فلا يقوى؛ لاحتمال أن تكون (إنَّ) الابتدائية، وقد حذفوا الخبر للعلم به، كأنّه قال: إنَّه كذلك))(شرح المقدمة الكافية:989/3).

إلّا أنّ بعض النحويين يرفضون كون الهاء في (إنَّه) هاء الإضمار، معلّلين ذلك بأنّ (الهاء) لو كانت هاء الإضمار لثبتت في الوصل كما تثبت في الوقف، ولكنها لم تثبت، ولذا نقول في الوصل (إنَّ يافتى) بحذف الهاء، ولو كانت للإضمار لم تحذف(شرح المفصّل: 57/5).

لم يعتن ابن الحاجب بنسبة الآراء إلى أصحابها، ربما وهم في نسبة بعضها.

وذ هب بعض النحويين إلى أنّ التنوين في جمع المؤنث السّالم هو تنوين التمكين، ونسب الجمهور هذا المذهب إلى الرّبعي(التبيين عن مذاهب النحويين: 215، والجنى الداني: 145، وتوضيح المقاصد: 277/1، وشرح الأشموني: 13/1)، ونسبه الرضي إلى الرّبعي والزمخشري وتابعهم في ذلك(شرح الرضي: 46/1). فالزمخشري لم يذكر تنوين المقابلة في أنواع التنوين(المفصّل في صنعة الإعراب: 455)، وجعل الصرف في (عرفاتٍ) من قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِن عَرَفَاتٍ﴾(سورة البقرة: من الآية / 198)، للتمكين(الكشّاف: 410/1). وردّ ابن الحاجب ما ذهب إليه الرّبعي والزمخشري معترضاً عليهما بقوله: ((وأمّا تَوهُّم من توهّم أنّه تنوين التمكين)).

الخاتمة:

خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

1- أن ابن الحاجب ذو شخصية فذة خلقاً وثقافة نسبة للمراكز العلمية التي عاش فيها ويظهر تأثره بالمذهب البصري إلى حد كبير، ونتج عن الحياة التي عاشها سياسياً ودينياً ثورة علمية أثرت فيه.

2- إنَّ من ألمع علماء العصر الأيوبي هو ابن الحاجب وذلك يظهر جلياً في الطرق المنهجية السلسة التي اتبعها في مؤلفاته وآراءه التجديدية المخالفة لعلماء عصره والسابقين منهم.

3- تظهر خصائص منهج ابن الحاجب واضحة عبر التقعيد العام والمتفرع، كذلك عبر استشهاداته القرءانية والشعرية والنثرية وأغراض كل منها وما شذ من الظواهر اللهجية المخالفة للقاعدة النحوية.

4- تميز ابن الحاجب وتفرد بآراء اعتراض بها أئمة النحو، واعتمد في أغلبها على المعنى النحوي حيث جعله الأصل رد الآراء، كذلك لم يعتن بنسبة هذه الآراء إلى أصحابها.

ومن أهم التوصيات:

- إن ابن الحاجب واحد من العلماء الذين برزوا في علوم عديدة فيجدر الاعتناء بإجراء مزيد من الدراسات عبر مصنفاته حتى ترى النور في المستقبل.

- الابتكار العلمي كما لايمكن من غير أن تقتل القديم درساً .

– يوصي الدارس بإجراء دراسات تركيبية تطبيقية في كافية ابن الحاجب.

المراجع والمصادر:

1– ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عمر عبدالعزيز الجنيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، 558/2.

2– أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق يوسف علي طويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م، 216/3.

3– ابن الحاجب، :أمالي ابن الحاجب، عثمان بن الحاجب أبو عمرو; المحقق: فخر صالح سليمان قدارة، غير مفهرس، دار عمّار، الأردن، عمّان، دار الجيل، بيروت، 1989م، ج1.

4– تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، المحقق: محمود محمد الطناحي – عبدالفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي"، القاهرة، ١٣٨٩هـ/1965م.

5– أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي "ابن كثير"(المتوفى: 774هـ)، البداية والنهاية، دار الفكر.

6– شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول.

7– محمد بن أحمد عثمان الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، د.ط، 1966، 255/3.

8– أحمد شوقي عبد السلام ضيف الشهير بشوقي ضيف (المتوفى: 1426هـ)، المدارس النحوية، دار المعارف، ج1، الطبعة الثالثة، 1977م، القاهرة.

9– سعيد عبدالفتاح عاشور، المدرسة النحوية في مصر والشام، دار النهضة العربية بمصر ، الطبعة الثانية. سنة ١٩٧٩م، 274.

10– عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، طبقات المفسرين العشرين، المحقق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة – القاهرة، الطبعة الأولى، 1396هـ.

11– السيوطي، حسن المحاضرة، في تاريخ مصر والقاهرة، ط1، 1967م– 1387هـ. دار إحياء الكتاب العربي.

12– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، 1998/12/30م.

13– د.سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية 1992م.

14– أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، مراجعة وتحقيق كامل كامل بكري, عبد الوهاب أبو النور مفتاح السعادة 138/1–140.

15– أبو القاسم الزَّجَّاجي (المتوفى: 337هـ)، الإيضاح في علل النحو، المحقق: الدكتور مازن المبارك.

16– مجموعة من العلماء، مجموع المتون الكبير، من مهمات المتون في مختلف العلوم والفنون، مشتمل على 63متناً .

17– الإمام كمال الدين عبيد الله بن أبي سعيد الأنباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، "مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، الطبعة الثانية 1953هـ"، 319/2.

18– أبي بكر بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، الأصول في النحو، تحقيق عبدالحسين القتلي " مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3 1417هـ – 1996م" 369/2؛

19- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري (ت 646هـ)، شرح الوافية نظم الكافية، تحقيق: موسى بنّاي علوان العليليار النفائس – بيروت، الطبعة: الخامسة.

20- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر (ت 646هـ)، الإيضاح في شرح المفصل، دار سعد، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، ط1.

21- عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الَعكري الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، أبو الفلاح (المتوفى: 1089هـ) حققه: محمود الأرناؤوط خرج أحاديثه: عبد.

22- عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، دون تاريخ، 1/3-4.

23- جمال الدين أبي عمر ابن الحاجب، ينظر الكافية في النحو: شرح الاستر أبادي رضي الدين (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، طبعة 1405هـ 1985م.

24- أبو عمرو عثمان ابن الحاجب(ت646هـ)، شرح المقّمة الكافية في علم الإعراب، تحقيق: جمال عبد العاطي مخيمر أحمد، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، 1997م.

25- ذيل الروضتين، تصحيح محمد زاهد الكوثري، الثقافة الإسلامية القاهرة، ط2 – 1974م.